مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 18 العدد 3 (السداسي الثاني 2026)
ص. 1151 – 1172

# ملامح مفهوم الملكة اللغوية في فكر عبد القاهر الجرجاني

# The features (concept) of linguistic competence in the thought of Abdul Qahir Al-jarjani

د. مراد شاعة
جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)
m.chaa@univ-alger.dz

تاريخ الارسال: 2025/12/16 تاريخ القبول: 2026/06/07 تاريخ النشر: 2026/09/28

**ملخص:**

تناولت في مقالي الذي بين أيديكم مسألة لغوية ألا وهي الملكة اللغوية وقد بحثتها في فكر عبد القاهر الجرجاني. هذا الجهبذ أحد فطاحل الدراسات اللغوية والبلاغية في التراث العربي , حيث من خلال قراءتي لكتبه وجدت الرجل قد لمح لمفهوم الملكة اللغوية , إذ عدّ مصطلح البلاغة والفصاحة والبيان تدل على فضل الناطقين والمتكلمين على بعضهم بعضا من حيث تكلموا وتحدثوا. وأبلغوا وهذا يتعلق بالقدرة على التبليغ والتوضيح والإفهام. وهذه في حدها مفاهيم للملكة اللغوية.

**الكلمات المفتاحية:** الملكة اللغوية، الفكر العربي، عبد القار الجرجاني .

**Abstract:**

Linguistic competence. He defined and explained it through terms such as eloquence, clarity, expressiveness and proper style. He distinguished between levels of competences especially in terms of expression, meaning and communication.

And this related to the ability of a message delivery, clarity to ability to make meaning understood.

And these components have already included in linguistic competence.

**Keyword:** Linguistic competence; language; thought; Qbdul Qahir Al-jurjani.

## 1. مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار ملح الأنام رضوان الله عليهم وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وبعد: لقد خلق الله الإنسان وجعله آية فيها فوارق كبيرة بين البشر، منهم الطويل والقصير، والبدين والنحيف، والأسود والأزهر والأحمر والأشقر وكلها آيات بيّنات، ومن الآيات العظيمة الأخرى اختلاف الألسنة واللغات، منها العربي الفصيح البّين، ومنها الأعجمي. كما جعل الله عزّ وجلّ في البشر فوارق من حيث الأصوات فمنهم الألثغ والمفأفئ والمتأتئ، والألكن والبليغ وصاحب الحُبسة. ومن أهم الفوارق التي أريد أن أبيّنها في هذا المقال الملكة والتأدية اللغوية. فمنا من له القدرة على الحديث والخطاب طوال الوقت وإن شئت قل طوال اليوم. وآخر يستطيع التحدث لساعات طويلة، وآخر حديثه دقائق معينة فقط .

كما أريد أن أبين الفوارق القائمة في وضوح الكلام وسهولته، وتسلسل وانسياب الأفكار وفوارقها بين المتكلمين والناطقين من حيث الفهم والإفهام. ولعل كل هذا الاختلاف راجع إلى ملكة لغوية تتمثل في القدرات اللغوية التي يولد الفرد مزودا بها من والديه. بالإضافة إلى ما يكتسبه من بيئته اللغوية التي ينشأ فيها، وقد خصصت البحث في مسألة الملكة في فكر عبد القاهر الجرجاني، فالسؤال الجوهري والإشكالية الرئيسية لهذا المقال هي: هل أشار ولمّح عبد القاهر الجرجاني في كتبه التي يتجلى فيها فكره إلى مسألة الملكة والتفاضل بين الناطقين ؟ .

وللإجابة على هذا السؤال طرحت بعض الفرضيات التي قد تثبت أو تنفي هذه الإشكالية منها ما يلي:

- بحث عبد القاهر الجرجاني في مسألة اللغة والبيان والفصاحة والبلاغة وهي تحمل فوارق كبيرة بين المتكلمين .
- ربط اللغة بالفكر ، والفكر متباين بين الناس.
- اشتغل كثيرا بفكرة إعجاز القرآن الكريم وأسراره وعجز قدرة العرب على مجاراته.
- عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم المعاني الذي تطرق فيه إلى معاني الأوائل والثواني وهي مقاصد للمتكلمين يختلفون في طرق تبليغها.
- و وازن وفاضل بين منظوم ومنثور الشعراء والأدباء ليقف على قدراتهم في ذلك.

وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعت المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد إلى بعض أفكار الجرجاني وتحليلها مع النقد والشرح من أجل إثبات أمر الملكة اللغوية التي هي فحوى هذا المقال. ولقد توصلت في بحثي إلى بعض النتائج أهمها:

- إن الجرجاني قد تحدث عن أمر الملكة اللغوية لكن إشارات وتلميحات لا تعقيد لساني كما يفعل اللسانيون المتأخرون.
- الجرجاني تحدث عن القدرة والفطرة والموهبة وهي مرادفات لمفهوم الملكة.
- الجرجاني صاحب مشروع بلاغي وبياني عماده القدرة على التبليغ والإفهام وقوة التواصل .

**2- مفهوم الملكة في اللغة وفي الاصطلاح**

**2 – 1 : مفهومها في اللغة:**

ورد جذر " م ل ك " في القواميس والمعاجم العربية مثل مقاييس اللغة لابن فارس: "الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أَمْلَكَ عجينه، وشده، و مَلَكْتُ الشيء قويته: الأصل هذا ثم قيل: مَلَكَ الانسان الشيء يملكه ملكاً، والاسم: المِلْكُ: لأن يده فيه قوية صحيحة، فالمِلْكُ: مَا مَلَكَ من مال، والمَمْلُوكُ: العبد، وفلان حسن المَلَكَةِ: أي حسن الصنيع إلى مماليكه "[1] فالملاحظ والمتمعن لهذا النص لعله يدرك أن أحمد بن فارس قد ضبط لفظ الملكة ضبطا دقيقا يشير فيه إلى المعنى القائم بيننا اليوم قائلا: فلان حسن الملكة أي حسن الصنيع، أي ما يقوم به ويتبادر منه، وإلى المعنى اللغوي نفسه - القوة والشدة – قد أشار إليه العلامة ابن جني في إشاراته إلى تقليبات مادة: " ك ل م." في باب الاشتقاق الأكبر الذي ينسب إليه من طرف بعض علماء العربية، فحالها " ( ك ل م) " في أي تقليب فيؤدي معناها إلى القوة والشدة ولعل عدد تقليباتها من حيث الاستعمال أصول خمسة "[2] فكما هو معروف في تقليبات الجذر ك ل م نحصل على م ل ك التي نص ابن جني أن دلالتها القوة والشدة، للإشارة فقط أن ابن فارس من الأوائل الذين ضبطوا دلالة الجذر ضبطا جيدا على عكس معجم" العين "وبنفس المفهوم والمعنى استقر الأمر عند الرازي في صحاحه على أن الملكة حسن الصنعة والصنيع إلى مماليكه مستدلا بالحديث الشريف الذي مؤداه لا يدخل الجنة سيء الملكة."[3] لعل مفهومها يستقر على الطبع والسجية والقوة وما شابه ذلك، ينصف في هذا المقام السيد الشرقاوي عن مفهومها اللغوي معلقا على المفهومين السابقين عند كل من أحمد بن فارس، والعلامة ابن جني على أن معناها العام - م ل ك – هو القوة والشدة سواء أكان الأمر حسيا مدركا بالحواس أم معنويا مجردا مدركا بالفكر. أجمع عليه عالمان متخصصان في الاشتقاق وفقه اللغة متعاصران زمانيا، حيث يستفاد منهما أن هذا المعنى اللغوي قد شاع وانتشر قبلهما و من بعدهما أيضا على أن أصل الملكة القوة في الخلق والطبع[4] .

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل بيروت 1411هـ ، 1991 م، 352/2 .

[2] انظر : أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1372هـ- 1952م ، 133/1

[3] انظر : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط 1 /2002، ص 599 .

[4] انظر: السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، ط.1، 1422 هـ/ 2002 م، ص 27.

**2 – 2 : مفهومها في الاصطلاح:**

لعل مصطلح الملكة قبل أن يستقر مدلوله قد مرّ بمراحل مختلفة، ومن الأوائل الذين نصوا عليه أهل الفلسفة والفكر كأرسطو طاليس الذي نقل اسحاق بن حنين نصا له في كتابه الطبيعة ورد فيه: " فإن الشيء الذي ظنه واحد منهم – بهذه- الحال- واحدا أو أكثر من واحد، فإياه وإياها جعل الجوهر كله، وسائر الأشياء كلها أثار تلحق هذه، وحالات وملكات..."[1] فهذا منقول ومترجم عن الفكر اليوناني فيه إشارة إلى لفظ الملكة من فيلسوف كبير مشهور، أما عند الفلاسفة العرب فمن الأوائل الذين لمح مصطلح - الملكة – في فكرهم أبو نصر الفارابي حيث تجاوز مرحلة الترجمة من اليونان إلى الإبداع العربي في حديثه عن العلم المدني قائلا: " أما العلم المدني فإنه يفحص عن أصناف الأفعال والسنن الإدارية، وعن الملكات والأخلاق، والسجايا والشيم التي عنها تكون تلك الأفعال والسنن، وعن الغايات التي لأجلها تفعل، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان، والوجه في حفظها عليه... وأن تلك ليست تتأتى إلا برياسة يمكن معها تلك الأفعال والسنن والملكات والأخلاق في المدن والأمم."[2]، فالقول السالف ينص على أن الملكة من موضوعات العلم المدني وتختص بالإنسان في جانب من جوانبه مثلها مثل السجايا والشيم، كما يمكن الوصول في هذا القول أن الملكة تكتسب من ممارسة الأفعال، حيث مثل بالطبيب لأن الطبيب يصبح معالجا بقوتين، فالقوة الأولى تتجلى في الكليات والقوانين التي تحصل عليها من كتب الطب، والقوة الثانية إنما تحصل بالممارسة في التطبيب للمرضى والحنكة بطول فحص أبدان الأشخاص، ونتيجة هذه القوة يمكنه وصف الأدوية والعلاج حسب مقتضيات كل بدن[3].

كما أشار في بعض المواضع الأخرى إلى كون الملكة فطرية يزود بها المرء وهذا في حديثه عن الإنسان: " يتحرك عن الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل بالفطرة... فتنهض نفسه إلى أن يعلم أو يفكر أو يتصور أو يتخيل أو يتعقل كل ما استعداده له بالفطرة أشد وأكثر، - فإن هذا هو الأسهل عليه- ... وأول ما يفعل شيئا من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية' لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة، وإذا كرر فعل شيء من نوع واحد مراراً

---

[1] الطبيعة لأرسطو طاليس، ترجمة إسحاق بن حنين، مع شروح ابن السمح وابن عدى، ومتى بن يونس، وأبي الفرج بن الطيب، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1384هـ - 1964م، 1/ 84 .

[2] أبو النصر الفارابي، إحصاء علوم الدين، تحقيق وتعليق عثمان أمين، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة 1966 م، من 125-126

[3] انظر المصدر السابق، ص125 – 126.

كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية، إما خلقية أو صناعية "[1] فهي إشارة إلى الملكة الفطرية التي يزود بها الفرد من الأبوين، والفطرة المكتسبة من الأفعال والأعمال بالتراكم والخبرة .

كما يعرض الفيلسوف العربي الآخر ابن سينا لمصطلح الملكة حين قال: "من ذلك أن توضع الملكة مكان القوة، والقوة مكانها في الأجناس، كقولنا: إن العفيف هو الذي يقوى على اجتناب اللذات، إذ الفاجر يقوى عليه أيضا، ولا يفعل "[2]، فلعله هنا يقترب من المصطلح اللغوي لمفهوم الجذر " م ل ك " لكنه يشير إلى المعنى الاصطلاحي كون العفيف زود بقدرة بواسطتها يتحكم في اجتناب المنهيات، بينما فطرة الفاجر لا تقوى على وزعته.

ومن علماء العربية الذين أسهموا في تبلور مصطلح الملكة، فخر الدين الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ **(الأنعام:** 75) أن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكة ، فكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جارٍ مجرى تكرار الدرس الذي لا يزول عن القلب... "[3] حيث جعل هذا الأخير الملكة مكتسبة من الواقع أو الخارج من خلال الممارسة ويقصد بها كثرة الاستدلال.

والأمر نفسه قد سار فيه العلامة شمس الدين ابن القيم حين قال: " إن كثرة الأفعال يسبب حصول الملكات الراسخة، فصارت الزيادة الحاصلة بهذا الطريق جابرا للنقص الحاصل باختلال البدن "[4]، فقد تطرق إليها – الملكة – ورآها تحصل بالممارسة، حيث مما سبق من عرض لمفاهيم ومصطلحات ندرك أن علماء العربية هناك من أشار إلى الملكة باعتبارها فطرة أو اكتساب من الخارج بكثرة الأفعال، فابن خلدون مثلا يشير إلى الأمر الثاني كون الملكة إنما تحصل بتكرير الفعل ′ لأن أول ما يقع هو الفعل ويعود للذات فيكون صفة′ وبعدما تتكرر هذه الصفة فتصبح حالا والمراد بالحال أنها صفة غير راسخة وبعد هذا الرسوخ يزداد التكرار فتكون ملكة ′ وبعد هذا يضرب ابن خلدون مثلا ويخص به تكوين الملكة عند العربي′ حيث يسمع هذا الأخير كلام عصره وجيله وأساليب خطابهم وكيفية

[1] أبو النصر الفارابي، الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1990. ص 135.

[2] أبو علي ابن سينا، الحدود، تحقيق الأمير الأعسم، ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 م، ص 237.

[3] الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، 48/13.

[4] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين "، دار التراث العربي بالقاهرة، 1402هـ- 1982م . 2/ 234 .

التعبير عن مرادهم' حيث يسمع الصبي طريقة استعمال المفردات في معانيها أولا. وبعد هذا العمل يعمد إلى سماع التراكيب فيلقنها . ثم يستمر السماع والتجدد في لحظة من كل متكلم' وبعدها يستعمل الصبي الشيء المسموع حتى يصبح ملكة راسخة ويعد واحد منهم (العرب) وهذا ليس حكرا على العرب فقط، وإنما هو عادة وشأن وديدن الألسن الإنسانية من جيل إلى جيل، وبهذه الطريقة تعلم الأعاجم الوافدون، والأطفال وهذا هو المراد بالطبع[1]، فابن خلدون يشير صراحة إلى الملكة اللغوية وكيفية حصولها عند العرب ، ومرد ذلك إلى السماع وكثرة تكراره.

كما يرى أن اللغات الإنسانية الأخرى ملكات لأن سائر اللغات الانسانية عبارة عن ملكات شبيهة بالصناعة، كونها وجدت للتعبير. وتظهر هذه الملكة من خلال التعبير عن المعاني وجودتها، وجودة هذه التعابير راجعة إلى جودة الملكة من حيث تمامها أو نقصانها، وليس بالنظر إلى المفردات وإنما بالنظر إلى التراكيب - أي التأليف – فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير عن المعاني المرادة، مع مراعاة التأليف وفق مقتضى الحال، يبلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة "[2]، فهو إذن لم يقصر الملكة اللغوية على اللسان العربي وأهله وإنما هذا الأمر موجود في الألسنة العالمية كلها للتعبير عن المعاني، حيث يحصل هذا في التراكيب والتأليف والأساليب، وليس في المفردات المعزولة عن التراكيب حيث شبهها بالصناعة، حيث يرى بأن السمع أبو الملكات اللسانية، فكل أمة ينقل بعضها عن بعضها، إذ يقر بأن ملكة العرب أحسن الملكات: " وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد... إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا "[3]

ثم يبين ابن خلدون أن سليقة وفطرة العرب اللغوية قد تغيرت عن حالتها الأولى التي جبل عليها العرب، ومرد ذلك إلى انتشار الإسلام وإقبال الأعاجم على العرب واختلاطهم بهم ولعل سبب فساد هذه السليقة أو الفطرة هو أن الناشئ العربي من هذا الجيل أصبح يسمع

[1] انظر عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الشرفية، القاهرة، 132هـ، ص 648

[2] انظر المصدر السابق، ص 648.

[3] المصدر السابق، ص 64.

في مقاصد العبارة كيفيات أخرى جديدة غير الكيفيات التي كانت عند العرب، حيث يعبر عن مقصوده وفق كيفية المخالطين للعرب، مع سماعه لكيفية التعبير عند العرب فاختلط عليه الأمر، وأخذ الناشئ العربي من الكيفيتين فاستحدث بهما كيفية جديدة كانت ناقصة عن الأولى"[1].

مما سبق ذكره وتحليله نستنتج أن مفهوم الملكة قد تطرق إليه علماء الدين، والفلاسفة، واللغويون، فمنهم من أشار إلى مرادفاتها كالسجية والفطرة والسليقة، ومنهم من رأى أنها فطرية ويولد الفرد مزودا بها، وآخرون أشاروا إلى اكتسابها من المجتمع والبيئة والمحيط.

**3- تجسيد الملكة اللغوية في فكر عبد القاهر الجرجاني**

كما هو معلوم أن عبد القاهر الجرجاني قد نهض في فكره اللغوي والبلاغي بمفهوم تيار المعاني الذي يقابل مذهب الألفاظ حيث قدم لهم نقدا مفاده أنهم أسرفوا في دراسة الألفاظ من حيث الوزن، والفصاحة، كالغرابة وتنافر الحروف والسياق، وإهمالهم أمراً جوهريا وهو المتكلم في حد ذاته كون الأفراد يختلفون في القدرات والمكتسبات سواء التي يولدون مزودين بها، أو يكتسبونها من المجتمع الذي يعيشون فيه، فهذان الأمران جوهريان في العملية اللغوية والبلاغية، بهما تحصل الفوارق بين الأفراد في منتجهم الفكري والذهني، فمثلا نحن باعتبارنا عرب وبالخصوص جزائريين نمر بنفس المراحل التعليمية: ابتدائي، متوسط، ثانوي، جامعي وندرس نفس المواضيع ونفس البرامج والمناهج، ولدينا معجم موحد، لكن بيننا بون وفرق في المهارات والقدرات الكلامية، فمنا المجيد ومنا المتوسط والضعيف ولعل هذا راجع إلى القدرات التي يزود بها الفرد من حيث الآباء، ومن حيث البيئة والمجتمع.

فالجرجاني كما هو معلوم قد انتصر للمعنى في الدراسة البلاغية ويرى موطنه النفس وبه أسس نظرية النظم والتي بها يمكن تذوق الأساليب والتفريق بينها وهو أمر فطري، فيقول في هذا الشأن: " فلست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع إذا قدحته ورى وقلب إذا أريته رأى، فأما وصاحبك من لا يرى ما تريه، ولا يهتدي للذي تهديه، فأنت رام معه في غير مرمى، ومعن نفسك في غير جدوى، وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا تذوق له،

[1] انظر المصدر السابق، ص 649.

كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم يؤت الآية التي بها يفهم "[1] ، حيث يتفتق لنا من هذا الكلام مفاهيم الكفاءة والبراعة والتأدية إذ أشار الجرجاني إلى القريحة والفطرة .

ثم يشير إلى النظم الذي هو توخي معاني النحو في الكلم، أمره خفي وروحي يدرك بالذوق، وهو موضوع الفطرة، يضيف قائلا في هذا الشأن: " فليس الداء فيه بالهين لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها، وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعانٍ روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها، حتى يكون مهيأ لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا "[2]، فأمور النظم يدركها ويعرفها الذي زود بطبيعة و ذوق و قريحة، حيث أجد في كلام عبد القاهر الجرجاني إشارة واضحة وصريحة إلى الملكة وما يلازمها من دهاء وذكاء .

كما شبه المدافع عن النظم ومدرسه بالطبيب الذي يعالج مرضاً مزمناً مستعصيا: "فأنت تلقي الجهد حتى تميلهم عن رأيهم، إلا أنك تعالج مرضاً مزمناً ٍ وداءاً متمكناً، ثم إذا أنت قدتهم بالحزائم إلى الاعتراف بأن لا معنى له غير توخي معاني النحو، عرض له من بعد خاطر يدهشهم، وذلك أنهم يروننا ندعي المزية والحسن لنظم كلام من غير أن يكون فيه من معاني النحو شيء ".[3]

ثم يضيف: "فكيف بأن ترد الناس عن رأيهم في هذا الشأن، وأصلك الذي تردهم إليه، وتقول في محاجتهم عليه استشهاد القرائح، وسبر النفوس وفليها، وما يعرض فيها من الأريحية عندما تسمع. وكان ذلك الذي يفتح لك سمعهم، ويكشف الغطاء عن أعينهم، ويصرف إليك أوجههم، وهم لا يضعون أنفسهم موضع من يرى الرأي، ويفتي ويفضي إلا وعندهم أنهم ممن صفت قريحته وصح ذوقه، وتمت أداته ".[4]

كما ينسب بلاغة العرب إلى حسن الطبع الذي جبل عليه من اتصف بها: " وأنّ الذي قاله العلماء والبلغاء في صفتها والإخبار عنها رموز لا يفهمها إلا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع، ومن هو مهيأ لفهم تلك الإشارات، وحتى كأن تلك الطباع اللطيفة، وتلك

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1420 هـ- 1999 م، ص 396.

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، شرح محمد التنجي، ص 395.

[3] المصدر السابق، ص 394.

[4] المصدر السابق، ص 397.

القرائح والأذهان قد تواضعت فيما بينها على ما سبيله سبيل الترجمة يتواطأ عليها قوم، فلا تعدوهم ولا يعرفها من ليس منهم"[1]، فهذه إشارة منه إلى كون بلاغة العرب ملكة قد زودوا بها عن طريق الاكتساب من المجتمع العربي، لا يقدر عليها غيره إلا من ولد في بيئة العرب فيكتسبها مثل اكتسابه اللغة، فهو هنا يضاهي فكر ابن خلدون في تحديده لملكة العرب عن طريق الاكتساب .

حيث يرى الجرجاني أن ألفاظ البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة تدل على تفاضل القائلين عن بعضهم بعضا في إشارة إلى الطبع والسليقة والجبلة قائلا: " البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا عن ضمائر قلوبهم "[2]، فالمتأمل لهذا القول من الجرجاني يدرك بأن الرجل قد تحدث صراحة وبدقة عن قضية الملكة التي هي موضوع بحثنا هذا، لذا جعل من لفظة البلاغة والفصاحة، والبيان والبراعة فوارق قائمة بين المتكلمين والناطقين، فلكل واحدة درجة معينة ونسبة معينة من هذه المصطلحات فهذا التفاوت راجع إلى الملكات بين الأفراد سواء المزودين بها أو المكتسبة من البيئة، حيث يظهر هذا جليا في تعابيرهم: " فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلمة بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماك، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف، واستحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا' و لم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر، وكيف يورد وكيف يصدر، كهذا القول، بل إن أردت الحق فإنه من جنس الشيء يجري به الرجل لسانه، ويطلقه، فإذا فتش نفسه وجدها تعلم بطلانه، وتنطوي على خلافه، ذاك لأنه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقادٍ، ولا يكون له صورة في فؤادٍ "[3] .

[1] المصدر السابق ص 193.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح محمد التنجي، ص 52.

[3] المصدر السابق، ص 56/55 .

ودوما في إطار الفصاحة والبلاغة، والبيان نماذج للفوارق بين الناس والناطقين، يضيف قائلا: " إعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المبتذل، كقولنا: رأيت أسداً، ووردت بحراً، ولقيت بدراً، والخاصي النادر لا تجده إلا في كلام الفحول، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال ."[1] ثم يضيف عنها قائلا: " ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة مموقة."[2]

فالجرجاني -رحمة الله عليه - يقر في المواضع السابقة بأن الكلام يتفاضل بعضه عن بعض منه العامي البسيط . ومنه الفحل القوي′ وهذا راجع إلى طباع الناس′ فمن كان طبعه قويا تمكن من الكلام وجاء بالنفائس يتخللها بالصور البيانية، ومن كان طبعه بسيطا جاء بالكلام المتواضع، وكلا الكلامين راجع إلى قرائح البشر وقدراتهم العقلية ومن هنا قسم النقاد الشعراء إلى شاعر مطبوع وآخر مصنوع، فالأول الشعر له سجيه وملكة، والثاني جهد وتكلف، ومنه يحصل التفاضل بين الشعراء وبين الناطقين من حيث نطقوا وتكلموا وعبروا عما في ضمائرهم ووجدانهم .

كما تحدث ابن خلدون عن لفظة الذوق عند أهل البيان بأنها: " حصول ملكة البلاغة للسان "[3]، وهذه البلاغة: " مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك، على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته لذلك بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه، وسهل عليه أمر التركيب، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإن سمع تركيبا غير جارٍ على ذلك المنحى مجّه "[4].

---

[1] المصدر السابق، ص 71.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط 1 1431/ هـ – 2010 م، ص 23.

[3] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ- 2010م . القاهرة-مصر، ص512.

[4] المصدر السابق، ص 512 .

وفي هذا إشارة على أن الذوق والبلاغة يتفاضل بهما الناطقون والمتكلمون فالذي سلك مسلك أساليب العرب ونظم الكلام وفق قواعدهم وتصرفاتهم يكتسب ملكتهم في نظم الكلام، والذي حاد عن أساليب العرب لا يصل إلى تراكيبهم البليغة حيث يضيف قائلا في هذا الشأن: " فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم، ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسان، لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده "[1] .

ثم يضرب ابن خلدون مثلا لتعلم تراكيب العرب واكتساب الذوق عندهم بصبيان العجم الذين نشأوا في بيئة العرب لأن الصبي الأعجمي ينشأ ويتربى مع جيله من أقرانه العرب ، فيتعلم العربية كما يتعلمونها هم، ويتحكم في ناصية الإعراب والبلاغة حتى يصل إلى هدفها وغايتها ومرادها' ومع حصول هذه الملكة في لسانه وتبليغه إياها بنطقه' وتحصل هذه الملكة أيضا للجيل الذي بعده وذلك بحفظ أشعار وخطب العرب مع المداومة على ذلك، بحيث يتجسد فيه أمر الملكة ويصير مثل الواحد الذي نشا في جيلهم وتربى بين أحياء العرب، وعندما تترسخ هذه الملكة وتستقر تسمى ذوقا' وهو الأمر الذي اصطلح عليه أمراء البيان.[2] فالشاعر ابن نهان أعجمي الأصل لكنه نشأ في وسط فصيح من بني تميم فاكتسب العربية منهم واحتج بشعره النحاة واللغويون، وقد سئل عمرو ابن العلاء مرة عن أفصح العرب فقال : عليا هوازن وسفلى تميم، وابن نهان عاش في وسط بني تميم فحق له أن يكون عربيا وفصيحا يستشهد بكلامه .

أما إذا دخل الأعجمي مكتسبا لسانه من قومه وخالط العرب فإنه لا تحصل له هذه الملكة، وغيرهم ممن تعلم لغته الأصلية كبلاد البربر، لكن ابن خلدون استثنى أهل الأندلس الذين يراهم أقرب إلى تحصيل الملكة العربية ومرد ذلك إلى كثرة امتلائهم من المحفوظات اللغوية سواء أكانت منظومة أم منثورة، ومثل بمن جادت ملكته وقريحته بابن حيان المؤرخ الذي يراه إمام القوم في التأريخ، ورافع الراية للعرب في هذا الميدان وكذلك بابن عبد ربه

[1] المصدر السابق، ص 513 .

[2] انظر المصدر السابق، ص 513.

والقسطلي وكذلك شعراء ذاك الزمان أي وقت ملوك الطوائف. "[1]، كما كانت الملكة نفسها عند المشارقة إبان الدولة الأموية والعباسية : " فكان شأنهم شأن أهل الأندلس في تمام هذه الملكة وإجادتها ، لبعدهم ذلك العهد عن الأعاجم ومخالطتهم إلا في القليل، فكان أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقوم، وكان فحول الشعراء والكتاب لعهدهم أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق ." [2]

حيث مثل لجودة لسانهم وحسن تبليغهم وسلامة ذوقهم بكتاب " الأغاني " الذي يرى فيه ديوان العرب ففيه لغتهم ويلخص ويذكر أخبارهم وأيامهم والدين الذي اعتنقوه ويبين سيرة العرب وأهم الآثار التي تركها خلفاؤهم وملوكهم' كما يوجد في هذا المصنف شعر العرب وغناءهم، حيث يرى ابن خلدون أنه لا يوجد كتاب يفوقه أو يضاهيه في ذكر قضايا العرب ويضيف بأن الملكة بقيت قوية في المشرق ويراها أبلغ من أية مناطق أخرى حتى تلاشى أمر العرب وضعفت لغتهم – خاصة المنطوقة- وفسد كلامهم وانقضى أمر الدولة الأموية[3] .

وبعد هذا اختلط العجم بالعرب وتغلبت لغة الأعاجم على العرب واستولت العجمة في دولة الديلم والسلاجقة حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته.

كما يذكر ابن خلدون طرق التعليم وكيفية حصول القدرة الكلامية عند أهل الأندلس والمشرق والمغرب فأهل الأندلس أفادهم التفنن في طرق التعليم وإكثارهم من رواية دواوين الشعر والترسل، وكذلك مما أفادهم في هذا الميدان ممارسة العربية في أول العمر حتى صاروا بها أعرف في اللسان العربي، كما قصروا في العلوم الأخرى مثل عدم مدارسة القرآن والحديث اللذين يعدان أصل العلوم وأساسها لذلك برعوا في الخط والأدب "[4] أما أهل المشرق: " فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا، ولا أدري بم عنايتهم منها والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطونه بتعليم الخط "[5]، أما أهل إفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن

[1] انظر عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ، ص 515 .

[2] المصدر السابق، ص 516.

[3] انظر المصدر السابق، ص 516

[4] المصدر السابق، ص 491

[5] انظر عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 491

ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة بما أن البشر مصرفون عن الإتيان بمثله "[1].

حيث بينت الشواهد والأقوال السابقة أن سر تعليم وحصول الملكة اللغوية بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم، كتب ودواوين الشعر والنثر والأمثال والحكم وكتب الأدب كالقصص والروايات وغيرها وهذا ما حصل في الأندلس. أما افريقيا فقد اقتصر التعليم فيها على القرآن الكريم المعجز الذي لا يمكن مجارات أساليبه لأنه مقيد بالإعجاز والتحدي على الإتيان بتراكيبه وأساليبه: " لأن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من الفضائل والمذاهب تارةً علما وتعليماً وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها "[2].

كما مدح ابن خلدون ملكة العرب وبوأها الرتبة الأولى في الإفادة والبيان والوضوح مقارنة مع الملكات اللسانية الإنسانية الأخرى: " اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد، لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور... وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب " [3]

[1] المصدر السابق، ص 491

[2] المصدر السابق، ص 493

[3] المصدر السابق، ص 498

## 4 – الجانب التطبيقي للملكة اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني

ذهب بعض أهل البلاغة خاصة في أسلوب القصر أن ضرب تقديم ماحقه التأخير لا يدركه ولا يقف عليه إلا من كان متمرسا بكلام العرب، وكان ذا ملكة لغوية وبلاغية بها يتفطن إلى أسرار التراكيب ويدرك لطائفها، كما أن أصحاب النقد في ميدان الشعر قد رأوا أن الشعر لا يتميز بالجمال والمهارة والشاعرية إلا إذا قدم الشاعر وأخر وأحسن في هذا الباب، وفي هذا يذكر الزركشي - رحمه الله –: " هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق "[1]، ونظرا لأهمية التقديم والتأخير في الكلام ودلالته على التمكن من ناصية البلاغة عقد له عبد القاهر الجرجاني فصلا في كتابه دلائل الإعجاز، قائلا عن فضله ما يلي " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضى بك إلى لطيفه ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "[2]، ومن سنن العرب في كلامهم: " أنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم "[3] [في باب الفاعل والمفعول ]. فإذا كان القوم ملهوفين بسماع قتل المفسد وأن يكفوا شره فتقول العرب: قتل الخارجيَّ زيدٌ. أما إذا كان الأمر بالنسبة لرجل ليس له بأس ولا يقدر على القتل ثم قتل فيقال: قتل زيدٌ رجلا .

ثم يرافع الجرجاني عن التقديم والتأخير لمن استصغره من القوم وبقية عناصر علم المعاني قائلا: " لا جرم أن ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة، ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها ووصد أوجههم عن الجهة التي هي فيها، والشق الذي يحويها، والمداخل التي تدخل منها الآفة عن الناس في شأن العلم "[4] .

---

[1] الإمام الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 دار الإحياء، 1376هـ 1957م، 3/ 233.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 96

[3] المصدر السابق، ص 97

[4] المصدر السابق، ص 98

ومن أمثلة التقديم والتأخير ما يلي :

**1- النموذج الأول** : وهو قول أحد الشعراء وأخص به إبراهيم بن العباس :

فلو إذ نبا دهرٌ وأُنكر صاحبٌ وسُلِّط أعداءٌ وغاب نصيرُ
تكون عن الأهواز داري بنجوةٍ ولكن مقادير جرتْ وأمور
وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يُرجَى أخُ ووزيرُ

فالمتأمل لنظم هذه الأبيات يدرك أن سبب ومرد جمال البلاغة وجودة الفصاحة راجع إلى نمط التقديم والتأخير الذي سلكه الشاعر خاصة في البيت الأول وماطلاه من رونق وحلاوة وحسن، والسبب راجع إلى كون الشاعر قد قدم الظرف وهو: إذ نبا. على العامل الذي يعمل في الظرف وهو الفعل: تكون، ولم يقل صراحة: فلو تكون عن الأهواز داي بنجوة إذ نبا دهر[1]. فسر الجمال والرونق هو تقديم المعمول على العامل ( الظرف على الفعل) ومعروف عن التقديم في هذه الحالة يكون للتخصيص/ والاهتمام بالشيء .

**2 – النموذج الثاني**: حيث سأضرب في النموذج الثاني آية قرآنية احتوت على التقديم والتأخير/ وقد صاغها عبد القاهر الجرجاني/ ومثل بها كثير من النحاة في الباب الذي اعتمدناه باعتباره نموذجا للتطبيق على فكر الجرجاني/ وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾**{ الأنبياء: 62}**. ففي هذه الحالة القوم يتساءلون عن الفاعل وهدفهم منه إقرار إبراهيم –عليه السلام- بذلك، ولا يستفاد منه تساؤلا عن الفعل/ لأنه قد سبق و أجابهم إبراهيم بأن فعل التكسير والتهشيم قد حدث من كبير الآلهة ( بل فعله كبيرهم هذا)، والمستفاد في هذه الحالة إقرار بالفعل/ وشك في الفاعل. وهذا الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني كون حرف همزة الاستفهام يؤدي إلى الإقرار بفعل قد كان ومعه إنكار لِمَ حصل/ و توبيخ لفاعله عليه[2] .

[1] أنظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81/80

[2] انظر المصدر السابق، ص 101

**3 – النموذج الثالث**: حيث سأخصص هذا المثال باعتباره مقابلا للمثال السابق ( الثاني) حيث يكون التقديم ممثلا في كون الإنكار يقع على الفعل لا الفاعل في قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ **{ الصافات: 153 - 154 }** فالشك والإنكار في هذه الآية قد وقع في حق الفعل (اصطفى) لا المعمول البنات' وفي هذا يكون الله سبحانه وتعالى قد رد على مقولة المشركين وكذبهم في القول الذي قالوه ، وهو جهل عظيم منهم.[1]

**4 – النموذج الرابع**: التقديم والتأخير في النفي: حيث إذا قال المرء : ما فعلت: يكون قد نفى وقوع الفعل منه وصدوره عنه أما إذا قال: ما أنا فعلت: يكون قد نفى عن نفسه فعلا ثابتا أنه قد وقع ولكن ليس منه مثلا ما ضربت عمراً، ففي هذا الشاهد يكون المرء قد نفى الضرب المحتمل اتجاهه' ويؤدي المعنى إلى وقوع الضرب من غيره' وإذا قال : ما أنا ضربت عمراً، لم يقله إلا وعمرّ مضروب' والقصد من وراء هذا كله أنه نفى كونه ضاربا لعمر[2] . ففي المثال الأول كان النفي عاما أقصد المنفي مثل : ما قلت شعراً أي لم أقله قط .

حيث ضرب عبد القاهر الجرجاني مثالا لهذا النمط في كون تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل قول الشاعر:

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب النار

حيث ينص الجرجاني على أن السقم والمرض ثابت موجود' ولا يعمد إلى نفيه عنه ، بيد أن الشاعر ينفي كونه هو الجالب له والمتسبب فيه لنفسه[3].

ومنه قول الشاعر: وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله

حيث يستفاد منه أن الشعر قد قيل على القطع' والنفي أن يكون هو وحده القائل له[4]

كما خاض الجرجاني - رحمه الله – وضرب مثالا للنفي في تقديم المفعول وتأخيره بما يلي: ما ضربت زيداً. فإذا قدم المرء الفعل على المفعول كان المعنى أنه قد نفى وقوع الضرب منه أصلا الذي وقع على زيد في الشاهد السابق' ولم تعرض في أمرٍ غيره لنفي ولا إثبات،

[1] انظر المصدر السابق، ص 101

[2] انظر المصدر السابق، ص 108

[3] انظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 109

[4] انظر المصدر السابق، ص 109

وبقي الأمر مبهما محتملا، أما إذا حصل تقديم وتأخير و قلت: ما زيداً ضربت، وذلك بتقديم المفعول على الفعل حيث يستفاد من المعنى أن ضربا قد حصل منك على شخص ما، وظن أن ذلك الإنسان زيدُ، فتكون قد نفيت كونه إياه، حيث يصبح معنى الشاهد الأول: ما ضربت زيداً ولا أحدا من البشر، وليس المعنى نفسه في الشاهد الثاني: فلو قلت: ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس، كان المعنى فاسدا على ما مضى في الفعل [1].

**5 - النموذج الخامس: التقديم والتأخير في الخبر المثبت**: في الأمثلة السابقة التي تم تحليلها كان الأمر مبنيا على الاستفهام والنفي وأهم تقلباتهم حيث يسلك الجرجاني في هذا النموذج ويطبق على الخبر المثبت غير المنفي ولا المستفهم، ومثل هذا الضرب كغيره من الأضرب السابقة فمثلا كما بين الجرجاني ما يلي، زيدٌ قد فعل وأنا فعلت وأنت فعلت، اقتضى القصد أن يكون الأمر متجها إلى الفاعل، غير أن هذا القصد يمكن تقسيمه إلى قسمين : الأول ظاهر جلي لا إشكال فيه مفاده: أن يكون الفعل فعلا أن أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، ويزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد، أما القسم الثاني: فلا يكون المراد القصد إلى الفاعل على هذا الضرب من المعنى، بيد أن مرادك أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، لذلك يبدأ المرء بذكره وتوقعه أولا من قبل ذكر الفعل في نفسه حتى تبعد عنه الشبهة، وتمنعه من الإنكار أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد [2].

ويبين الجرجاني ويحقق مراده في هذا الباب ساق هذا الشاهد الشعري:

هُمُ يُفْرِشُون اللِّبَد كلَّ طِمَّرةٍ  وأجْرَدَ سبّاحٍ يَبُذُّ المُغاليا

حيث شرح عبد القاهر الجرجاني هذا البيت وما احتواه من معاني قائمة على التقديم والتأخير ليبين المعاني التي قصدها في النموذج الخامس حيث مراد الشاعر في الشاهد المضروب أنه لم يفرد لهؤلاء القوم هذه الصفة ويخصهم بها (إفراش اللبد) دون غيرهم بنفيها عنهم تعريضا، حيث يظهر هذا محالاً وإنما أراد الشاعر بوصفهم كونهم فرسان يمتطون صهوات الخيل، وقيادتهم الجياد، وأن هذا شأنهم ودأبهم، دون نفيه عن غيرهم من بقية الأقوام، لكن بدأ بذكر القوم السابقين السباقين تنبيها للسامع لهمٍ كما أن

[1] انظر المصدر السابق، ص 110/109

[2] انظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 111/110

مراد الشاعر نفي توهم من شك أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم، وأن يكون قد أراد قوما غيرهم فهذا محال وغلط[1]،

ومنه أيضا قول الشاعر:

هُمْ يضربون الكبش يَبْرُقُ بيضُهُ  على وجهه من الدماء سبائبُ

حيث لم يرد الشاعر في بيته إفراد هذا القوم وتخصيصهم بهذا الضرب والنحر و أنه لا يكون إلا منهم، ويمتنع من غيرهم، وإنما غرض الشاعر تنبيه السامعين أنه قد قصد القوم بعينهم من قبل ذكر الحديث لتحقيقه وتوكيده.

**6 - النموذج السادس : تقديم النكرة على الفعل وتقديم الفعل على النكرة:**

حيث ضرب الجرجاني مثالا في هذا الشأن مفاده إذا قلت: أجاءك رجل ؟ فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيءُ من أحد الرجال إليه؟ فإن قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك؟ فالمراد من السؤال هل المجيء حصل من أحد الرجال إليه؟ فيتوجه السؤال هنا إلى الاستفهام عن جنس الجائي أرجل هو أم امرأة ؟ ويكون هذا إذا علمت آتٍ قد أتى دون العلم بجنسه[2].

فالمتأمل للمثال الأول: أجاءك رجل؟. نلاحظ تقديم الفعل على الاسم وغير جائز تقديم الاسم على الفعل' يصبح سؤالا عن الفاعل. وحينئذ يتوجه السؤال إلى الفاعل وجنسه وإذا كان بهذا النمط كان محالا أن تقدم الاسم النكرة على الفعل وأنت لا تريد السؤال عن الجنس، حيث لا يكون لسؤالك متعلق بعد الجنس إلا العين، والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه.[3]

أما في المثال الثاني: أرجل طويل جاءك أم قصير؟

فالسؤال هنا متوجه إلى الجائي حول طوله وقصره، فإذا قلت: أرجل كنت عرفته من قبل أعطاك هذا أم رجل لم تعرفه' تكون قد وصفت النكرة بالجملة.

فالسؤال يكون عن المعطي' سواء تعرفه أم لا تعرفه.

---

[1] المصدر السابق، ص 111

[2] المصدر السابق، ص 119

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، بتصرف، ص 119

ففي النماذج الستة السابقة لطائف ودقائق تعبيرية للتقديم والتأخير اعتمد فيها عبد القاهر الجرجاني على ما يعرف بالوضع والاستعمال من الكلام اليومي والواقع في تقعيد الظواهر البلاغية ومنها الملكة اللغوية الناتجة عن التقديم والتأخير، لا يقف عليها ويدرك فحواها إلا من كان ذا ملكة وموهبة لغوية وبلاغية بها يقف على مقاصد المتكلم وأغراضه فالأول ليس كالثاني والثاني أو المتأخر ليس كالأول' حيث يكون من وراء التقديم والتأخير أغراض منها: الاهتمام، التوكيد، التقرير، لفت الانتباه... إلخ .

**الخاتمة:**

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات على أن وفقني لكتابة هذا المقال والذي تحدثت فيه عن أمر الملكة اللغوية في فكر عبد القاهر الجرجاني الذي عاش في القرن الخامس الهجري، ومن خلال ما تم عرضه في التحليل الذي سبق، توصلت إلى بعض النتائج الجوهرية والتي هي كالآتي:

- لمح عبد القاهر الجرجاني لمفهوم الملكة، وقد قصدها بالذات " الملكة اللغوية " من خلال إقراره أن مصطلحات البلاغة، والفصاحة' والبيان تدل على فضل الناطقين على بعضهم بعضا.
- هذا التفاضل بين الناطقين هو عبارة عن قدرات يولد المرء مزوداً بها، بالإضافة إلى المكتسبات الأخرى التي يكتسبها من المحيط الخارجي، وهذا الذي أكدته الدراسات اللسانية المعاصرة .
- تحدث عبد القاهر الجرجاني عن الأداء اللغوي والبلاغي وبيّن كيف يتفاضل الشعراء بينهم من خلال الحكم على جودة الشاعر من عدمها، وهذا مرده أيضا إلى الملكة .
- بيّن الجرجاني مفهوم الإعجاز القرآني ومواطنه، وكيفية إدراكه، وهذا لما يحدثه في النفس من تأثير وغيره، والنفوس تتفاضل في سرعة الاستجابة نظرا لما فطرت وطبعت عليه.
- تحدث الجرجاني عن الملكة ولم يسمها باسمها وإنما بألفاظ مرادفة لها أو قريبة منها مثل: الذوق، القريحة، الطبائع .

- سبق الجرجاني بفكره اللغوي والبلاغي التأصيل لأمر الملكة والأداء بمئات السنين اللسانيين الغربيين أمثال نعوم تشومسكي .
- الجرجاني من مؤصلي الدرس البلاغي من خلال الحديث عن البلاغة والفصاحة والبيان وجميعهم مبني على القدرة والقدرات والتفاوت في الأداء

**التوصيات:**

في آخر البحث ارتأيت أن أوصي بتوصيات لعله يأتي من بعد مقالي من يأخذ بها وينشأ بحثا علميا أو كتابة مقالات ، ومن أهم هذه التوصيات ما يلي :

- ضرورة البحث في التراث العربي عموما وفي تراث الجرجاني خاصة.
- كثير من المفاهيم اللسانية المعاصرة منثورة في بطون كتب الجرجاني ولذا يرجى البحث فيها.
- كثير من أفكار عبد القاهر الجرجاني قريبة من اللساني الأمريكي المتأخر زمانا نعوم تشومسكي، فأوصي بقراءة مقارنة بين العالمين، وهذا ما يفتح باب تأثر الأخير بالجرجاني.
- هناك إشارات لسانية قيمة في فكر الجرجاني أوصي بالبحث والتفتيش عنها قصد بيان أصالتها في الدرس العربي.

## قائمة المصادروالمراجع

القرآن الكريم ، المصحف الإلكتروني برواية ورش عن نافع.

1. أرسطو طاليس، الطبيعة، ترجمة إسحاق بن حنين ، مع شرح ابن السمح وبن عدي ومتى بن يونس وأبي الفرج بن الطيب ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة . 1384هـ – 1964م.
2. ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية 1372هـ – 1952م.
3. ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المطبعة الشرقية ، القاهرة 1328م.
4. ابن سينا' أبو علي، الحدود، تحقيق عبد الأمير الأعسم ، ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب ، الهيئة المصرية للكتاب 1989م.
5. ابن فارس، أبو الحسين أحمد ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت 1411هـ – 1991م.
6. ابن القيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مدرج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين " دار التراث العربي . القاهرة 1402هـ – 1982م.
7. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، شرح محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1419هـ – 1999م.
8. الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، دار ابن الجوزي ،الطبعة الأولى ، القاهرة مصر 1431هـ – 2010م .
9. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى بيروت لبنان 2002م.
10. الرازي، مفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1993م.
11. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء ، الطبعة الأولى 1376 هـ – 1957 م.
12. السيد الشرقاوي ، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى القاهرة مصر 1422هـ - 2002م.
13. الفارابي، أبو نصر ، إحصاء علوم الدين ، تحقيق وتعليق عثمان أمين ، مكتبة أنجلو مصرية القاهرة 1966م
14. الفارابي، الحروف ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق بيروت 1990م.